

## تحقيق التراث: تاريخاً ومنهجاً

يشتمل التراث الأدبي والفكري في كل ما صدر من الأمة العربية معبراً ، بالكتابة ، عن وجوه نشاطها المختلفة ، ممثلاً بذلك صور حياتها الظاهرة والباطنة ، منذ اتجه المسلمون إلى التدوين ، يسجلون به ما يصدر عنهم ، وما يحتفظون به في صدورهم ، أو ينقلونه بالرواية عن أسلافهم ، أي منذ انتقل العرب من الجاهلية إلى الإسلام ، ومن البداوة إلى الحضارة . فكان جمع القرآن وكتابه في المصحف أول ما انجسوا من ذلك إليه ، وحرصوا عليه ، حتى لا يعرض له شيء من آسار ما يصيب الذاكرة ، أو ما يتعرض له القراء من القتل في وقائع الفتن ومبادئ القتال . لم لم يثبت التدوين أن أصبح نزعاً غالبية تسيطر على الحياة العربية في شتى وجوها ، ولم تلبث هذه النزعة أن غلبت شعور التخرج الذي كان يداخل أئمة المسلمين في تدوين الحديث ، حلوا من أن يصير الأمور إلى ما صارت إليه عند أهل الكتاب ، حين دونوا مع كتاب الله كتاباً لا يبينهم وعلماهم ، فأكبروا عليها وتركوا كتاب الله ، كما جاء في بعض الآثار ، فلم يكد القرن الأول يشرق على النهاية حتى وجدنا عمر بن عبد العزيز يبعث إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاباً يرغب فيه أن ينظر ما كان من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أو مسته ، فيكتبه ، خوفاً من دروس العلم وذهاب العلماء .

كما أخذ التذويين سبيله إلى البينات العلمية والأدبية وفرض نفسه عليها ، حتى لتجد شاعرا أميا يدويا مثل ذي الرمة يؤثر أن يكتب شعره فيقول لعيسى بن عمر النخعي :

« اكتب شعري ، فالكتاب أحب إلي من الحفظ ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة ، وقد سهر في طلبها ليكنه ، فيضع في موضعها كلمة دونها ، لم يشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبذل كلاما بكلام » . كما يحكي الجاحظ ذلك في الفصل الذي قدم به لكتابه « الحيوان » .

ومن هذا القبيل ما حكاه أبو الفرج في أغانيه عن مولى لبني كليب بن يربوع قوم جرير الشاعر ، كان شديد التعلق به ، والرغبة في حفظ شعره . وكان كاتبا الجوالي إذ ذاك يكتب ، على العكس من جرير وأضرابه ، أنه جاءه ذات ليلة ، فالباه بساكن من هجاء الرامي النخعي له ، وطلب منه أن يعد له شواء وشراشا ، ونبيذا محفا . فإذا تناول عشائه ، وشرب من النبيذ أقداحا أخذ يعلو عليه ما قاله يريد به على هجاء الرامي له .

فقد أحس هؤلاء الشعراء الأميون الذين كان يأنف أحدهم من أن يتعلم الكتابة ، أو يقال عنه أنه يعرف الخط ، بخطر كتابة أشعارهم ، ومظم جدواها في حفظ الراهم .

أما علماء العربية الذين كانوا يثقفون عن الأعراب مادة علمهم من شعر وخبر قلم يعد التذويين بالقباس إليهم نزعاً عارضة ، بل أصبح ضرورة ملحة . وقد كانت الصحف التي كتبها أبو عمرو بن العلاء عن الأعراب لعلاء بيتا له إلى قريش السقف ، كما يقول ابن خلكان في حديثه عنه . ولعل ذلك أو قريبا منه كان شأن سائر علماء العربية المعاصرين له .

ثم كان من صور الاستجابة لهذه النزع الفأبية والضرورة الملحة أن نشأت صناعة الوراقة وما لبثت أن عظم شأنها وكثر الوراقون ، حتى كان لكل عالم ورأفة أو وراقوه ، يتزلون منه ما كان ينزل الرواية من الشاعر ، فهم يدونون مجالسه ، ويذيعون كتبه ، حتى لقد بلغ من عظم شأنها وبسطة سلطانها أن لبرت كثيرا من القيم والأعراف السائدة في الأوساط العلمية . ومن ذلك أنها استطاعت أن تعرف إليها بعض طلاب العلم من الجلوس إلى الشيوخ والتلقى منهم اكتفاء بما تقدمه إليهم ، وما يصيبون فيها من حاجتهم . حتى لقد استطاع رجل كعمرو بن بحر ، في أمان نشأته وتكوينه العقلي ، أن يوفق بين ضرورات حياته المادية التي تستغرق نظاره ، ومقتضيات طموحه المعنوي وعظمه الأدبي ، وذلك باتساع الوان المعرفة فيها ، فكان - على ما يحكى عنه بعض مترجمي حياته - بيت في دكاكين الوراقين ، يعكف عليها .

ومن هذه المنزلة التي صارت إليها الكتب يتحدث مرة ، مفضلا أباها على الشيوخ والعلمين وكأنما هو فيما يتحدث به من ذلك عنها يرجع النظر إلى أول أمره وسدر حياته وما أتاحت له ، وما حركت من همته والارت من توارعه . فيقول مرة :

« والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجع قلعه على لسانه ، بأمره ، فيها : أن الكتاب يقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان ، على تفاوت ما بين الأقسام ،

## تحقيق التراث : تاريخا ومنهجيا

وليامد ما بين الامصار . وذلك امر يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع في المسألة والجواب .  
ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم ويبقى كتيه ،  
ويذهب العقل ويبقى آثره . »

ويقول مرة اخرى :

« وليس يجد الانسان في كل حين اتساعا بديريه ، ومقوما يتقفه . والصبر على افهام الرئىس  
شديد ، وحسب النفس من عقابية العالم اشد منه والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب غنيما ، وبما  
يحتاج اليه قائما . وما اكثر من فرط في التعليم ايام خمول ذكره ، وايام حداثة سنه . وتولا جواد  
الكتب وحسنها ومبيتها ومختصرها لما تحركت هم هؤلاء الى طلب العلم ، ونزعت الى حب الادب ،  
وانفت من حال الجهل ، وان تكون في غمار العشو ، وللدخل على هؤلاء من الجهل والمضرة وسوء الحال  
ما عسى الا يمكن الاختيار من قليله الا بالكلام الكثير . »

ثم لا يقف الامر ، فيما يحكي الجاحظ عن مآثر الكتب ، عند هذا الحد من تحريك النوازع ، وحفز  
الهمم ، وارضاء الحاجات العقلية ، بل انها تمتد الى ما وراء ذلك من شق الطريق الى بعض صور  
المجد الادبي والمادي التي لا تتيحها مجالسة الشيوخ والتقى عنهم ، على الصورة التي يحكيها الجاحظ  
بقوله :

« وقد نجد الرجل يطلب الانار ولا ويل القرآن ، ويجالس الفقهاء خمسين عاما ، وهو لا يعد نقبها  
ولا يجعل فائدا . فما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة واصحاب ابي حنيفة ، ويحفظ كتب  
الشروط ، في مقدار سنة او سنتين ، حتى تمر ربابه فتظن انه من بعض العمال ، وبالحرى الا يمر  
عليه من الايام الا اليسير ، حتى يصير حاكما على مصر من الامصار ، او بلد من البلدان . »

وكانما كان الجاحظ في حديثه هذا يتمثل الامر في البصرة ، ولم يكن لفقه ابي حنيفة مكان  
فيها . وفقه ابي حنيفة ، او بعبارة اخرى ، فقه الكوفة ، كان هو الذي يرشح صاحبه لمنصب  
القضاء وما اليها ، منذ قامت الدولة العباسية وثيقة الصلة بالكوفة ورجالها ، معرفة عن البصرة ،  
منهمة لاهلها .

كما لم يقف الامر بصناعة الكتب عند هذا الاق ، ولم يقتصر على ما يصدر عن علماء الدين  
ورجال الفكر واهل الادب . فقد تجاوزت الكتب هذا الشأو ، وتناولت جوانب الحياة المختلفة :  
علمية وعملية . كما يدل على ذلك قول الجاحظ : « وكل شيء في العالم من الصناعات والارفاق  
والآلات فهي موجودات في هذه الكتاب » . وقد فصله وبين مجمله في قوله :

« وحسبك ما في ايدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ، والهندسة ، ومعرفة  
النحن ، والفلاحة ، والتجارة ، وابواب الاصباغ والاعطر ، والاطعمة ، والآلات . وهم انوكم بالحكمة  
وبالمنفعة التي في الحمامات ، وفي الاصطرابات ، والآلات معرفة السلفيات ، وصناعة الزجاج  
والفسيفساء ، والاسرنج والزنجفور ، واللازورد ، والاشربة ، والانبيجات ، والابارجات . ولهم الميانه

والشاعر ، والنسب ، وتعليق الحيوان والأساطير ، ورد ما مال منها إلى التكوين ، ولهم حسب الزودج ، واستخراج التلخيص ، وتعليق الخيش ، وانقاذ الجملات ، وعمل الحرافات ، واستخراج شرواب الدالزي ، وعمل القديسات . »

وبهذا نرى إلى أي حد بلغ شأن صناعة التلخيص القرن الثالث للهجرة ، وإلى أي مدى بلغ استقلالها في عيارين الحياة المختلفة ، وفي وجود النشاط الإنساني عامة ، وفي شتى صور الحضارة ، دون أن نقف من ذلك عند الحاضر ، بل نتناول على الطائر ، على النحو الذي يمكن أن تتمثل في هذه الجملة التي أوردها من كلام الجاحظ ، وفي مثل قوله أيضا :

« ولولا ما أودعت لنا الإسرائيل في كتبها ، وخلفت من عجيبة حكمتها ، ودويت من السواع سيرها حتى شاهدنا بها ما لم نألف منا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجعلتنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدركتنا ما لم تكن لغربك إلا نسم ، لقد غرس حنظلتين الحكمة ، وسعف سبيلنا إلى المعرفة . »



وإذا كان ذلك هو شأن ما صدر عن الأمة العربية مكتوبا ، وكان ذلك مبلغ الأمان الذي استولى الكتاب العربي عليها ، في القرن الثالث للهجرة ، وفي إقليم واحد من أقاليم العالم الإسلامي ، فما عسى أن يكون مبلغ زراة هذه الأمة الأدبية والعقلية والحضارية فيما يلي ذلك من القرن ، وفي سائر أقاليم هذا العالم من مشرفة في الهند وجزر المحيط الهندي إلى مغربه في المغرب الأقصى والأندلس . بل وفي بعض أقاليم العالم المسيحي التي سارت الكتاب العربي فيها صداد الفرس واحد أصول المعرفة :

لقد كان - ولابد - أمرا بالغ الخطاسة ، كثير التنوع ، لا مبالغة في القول بأنه بقوت المحصر ، وكان يستغل فيما سمته خزان الكتب العامة التي كانت الدول الإسلامية حريصة على انتائها . وكانت لتنافس فيما بينها في مبلغ ما تقتنيه منها من عيون الكتب التي لاجود بها لمراجع العلماء والأدباء ، وبغنى المراجعين والباحثين في كتابتها وتحريرها والناقل فيما هنا وهناك ، في العراق ومصر والمغرب والأندلس ، وفي أمارات المشرق والشام والمغرب ، وفي خزان الكتب الخاصة التي أصبحت مملوكة من مظاهر النور العقلية والحضارية ، يحرص الأمراء والسرة والعلماء عليه وعلى المنافسة فيه ، وفي هذه المكتبات التي كانت تقام هنا وهناك تقريبا إلى الله ، في المساجد والربط والمخارس والروايا ، إلى غير ذلك مما تناثر الأخبار عنه ، وليس بنا في هذا البحث أن نتعمق .

وقد منيت هذه الثروة العقلية الضخمة بما بعدها ودمر الكثير منها ، في خلال الفتر السياسية والطائفية والمذهبية التي كانت تضطرب بها ، في كثير من الأوقات ، بغداد والمدن الإسلامية ، وفي الحروب الصليبية التي استمرت خطوطها قرنين من الزمان وفي غزوات التتار التي كانت تأتي على الأخضر واليابس ، لم في غمرة الجهالة التي سيطرت على العالم الإسلامي في القرون المتأخرة ، والتي أفقدت عامة الناس إحساسهم بهذا التراث ولقد برهم له . فعدلت عليه من خلال ذلك الموردي

المختلفة . وحسبنا ان تذكر ، بصورة ما ، مبلغ ما اسباب التراث ان تعلق بين ما يذكر من كتب في تراجم العلماء والادباء ، او في كتب الفهارس ك فهرست ابن النديم ، وما يمكن ان نجده منها الآن . فما اكثر العلماء الذين لم يبق لنا شيء مما ألفوه ، وما اكثر من لم يبق لنا مما ترك غير نسبة شئيلة .

ومع كل هذا ، فان ما بقي لنا من هذا التراث ، او ما اتاحت لنا معرفته منه ، بعد مقبرة للأمة العربية ، لا يصير من مبلغ نشاطها العقلي والادبي ، واسهامها اعظم اسهام في بناء الحضارة الانسانية . وفيه تتمثل ملامح شخصيتها . ولا ريب انه على قدر معرفتنا لهذه الشخصية وتبيننا لخطوطها العربية والدقيقة يكون ايماننا بها ، وهو ما تقتضيه حركة القومية العربية التي تنبج الامة العربية اليها ، وتسمى حينئذيا في استكمال ادواتها واسطوانات وسائلها ، لانها المنتمس الوثيق الذي يعتصم به في معترك الحياة . ومن هنا يكون الحرص على هذا التراث ، تنقيها عنه ، والتمسك له ، وجمع المتفرقة ، وتحقيقا لنصوصه ، وتجليه لغوامضه . الى جانب الدافع الانساني ، باعتبار هذا التراث جزءا لا يتفصل من تراث الانسانية عامة ، ووجهها من وجوهه .

واذ كان هذا التراث مفرقا في مكتبات العالم ، مشرقه ومغرب ، اسلامه ومسيحيه ، في كبار مدنه وصغارها ، فان من اول ما يجب علينا القيام به ان نحصر هذه المكتبات ، عامة وخاصة ، وان نعطي في الطريق الذي يدها معهد المخطوطات العربية ، عند ظهرت مجلته منذ اكثر من عشرين عاما ، يغطي حيشة ثابتة ، وقوى متكافئة متضامنة ، طبقا لخطة مدروسة والسحة ، فتجمع ما وجد من فهارسها ، ومنها ما خفي المخطوطات العربية بفهارس على حدة . وكثير منها لم يفهرس بعد ، او لم ينشر فهارسه ، فتعمل على فهرسته ، وتختار لذلك الوسائل المختلفة . وذلك حتى يتسنى لنا ان نؤلف موسوعة جغرافية شاملة لهذا التراث ، وخاصة مخطوطاته ، تعرضه عرضا علميا ، تبين فيه نسخ كل كتاب ، موصوفة بالصفات العتبرة في تحقيق النصوص . اما ما سبق نشره منها فبين تاريخ النشر ومكانه ومحققه ، وفي أي صورة كان : مطبوعا لشروط النشر العلمي او مطبوعا لها ، او مقصرا في رعايتها ، كليا كان ذلك النشر او جزئيا ، مستقلا او مضمتا في مجلة من المجلات او دورية من الدوريات ، الى غير ذلك .

كما نعني هذه البيبليوجرافيا زيادة على ذلك ، بما قد يكون من دراسات كتبت عن هذا التراث او ذلك ، تعريفيا به ، او نقدا له ، او تحليليا لمضمونه .

وذلك ، ولا ريب ، عمل ضخم ، يحتاج الى تضافر الجهود والطاقم القوي ، والى التوفر عليه والتفرغ له ، والى التنظيم الدقيق والتخطيط للحكم ، والى روح الدؤوب . ولكننا - فيما ارى - عمل ضروري ، يمكن ان يؤدي اليه صور متكاملة مشرفة من ذلك التراث ، كما يجعل تحقيق تراثنا يعطي على هدي وبصيرة اسم وأوفر ، ويخطى اكثر سفادا .



ومهما يكن تقدير العلماء لما ستمه من ذلك روعلمان أولا ، ثم يؤاد سوركين ثانيا ، فإن الإحاطة بالتراث العربي ، وهو كما رأينا ، أمر يتوقى طاقة الفرد ، مهما يكن من أولى العزم ، على أن هذا لا يعني أن وجود هذه الموسوعة الجيولوجرافية التي يحتاج إنجازها عدداً غير قليل من الستين إذا صح العزم شرط لتحقيق التراث ، فإنما هي أداة لتيسيره والتحكين لادائه على اكمل وجه ، وهو ماش في سبيله لا يتوقف في حدود ما يحتاج له .



**وتحقيق التراث يتضمن امرين :** تحقيق نسبة النص الى من هو منسوب اليه ، والثاني تحقيق النص في ذاته ، بحيث يكون - قدر الامكان - صورة امينة دقيقة له ، كما كتبه مؤلفه .

**أما الاول** فيدعو اليه ان عالم الكتب اصابها اسباب من قبل عالم الشعر من الوضوح والتزوير . فكما نشأت في اوائل القرن الثاني ظاهرة وضع الشعر ونحله للشعراء المتقدمين ، حين اصبح الشعر باباً من ابواب الفخر ، وبوسيلة من وسائل المجد القبلي ، بما يتوه به من عاتر القبيلة ويشيد بها ، وحين اصبح سلعة يقالسي الرواة بها بقدر ما يحرص ملتمسوها من الامراء والسرّات والعلماء على القفر بها ، فصارت رواية الشعر بذلك تجارة ، فاذا اموزت تلك السلعة فلا بأس من الاحتيال لذلك بالصناعة والتزييف ، كما تزيّف الانلر ونروج . كذلك كان الامر في الكتب .

وكان من اسباب ذلك صناعة المرافقة التي آل الامر فيها الى أن بعض من كان يصطنعها كان لا يرى فيها الا أنها مهنة من مهن العيش وباب من ابواب الانجار ، فكان لا يحفل الا بما يمكن ان تبيحه له من كسب ، وما تحققة له من عائد . فكان يلجأ أحيانا الى أن ينحل بعض مشاهير الكتاب والعلماء ما ليس لهم ، ومن ذلك جاءت بعض الكتب المنسوبة الى بعض كبار العلماء مثيرة للشك في نسبتها اليهم . ككتاب **فتوح الشام** المنسوب الى الواقدي ، وكتاب **الحاسن والاضداد** الذي جمع فيه الوراق اشياء من كلام الجاحظ اقتبسها من هنا وهناك ، وخلط بها غيرها ، ثم وضع على هذا الخليط هذا العنوان ونسبه لجاحظ .

وكثير من العلماء يشك في نسبة **كتاب التاج** الذي استخرجه وعلى بتحقيقه احمد زكي باشا الى الجاحظ ، وقد كتب له مقدمة مستغضة يدل بها جهدا غير يسير لتحقيق هذه النسبة .

ومن ذلك الشك في نسبة **كتاب العين** للخليل بن احمد . ويبدو أن هذا الشك قد نشب في قلوب العلماء منذ وقت مبكر ، لاسباب ظاهرة . حتى اذا جاء الارهمى **صاحب التهذيب** في القرن الرابع كان مشاركه النظر في الكتاب ، وورود اشياء فيه لا يمكن أن تصح عن الخليل . كالذي وقع فيه من تفسير ( العمر ) بأنه نوع من النخيل سموق طويل ، وليس كذلك فيما نعرف ، فهو

أدخل السكر سحوقا أو غير سحوق . ولا يمكن - فيما يرى - أن يصح ذلك من الخطيل ، فقد كان - كما هو نص عبارة الأزهرى - « من أعلم الناس بالخطيل والوائه » . ولو كان الكتاب من تأليفه ما قسر العمر هذا التفسير . وقد ألتأت أنا رطب العمر ورطب التعطش وخرفتهما من مسار النخل ومداها وجبارها . ولولا المشاهدة لكنت أحد المختيرين باليث وخطيله ، وهو لسانه ( ١ ) .

ومن هذا القبيل أيضا نسبة **كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة** ، وقد نظر المستشرق ذوزي في هذه النسبة حين الأرتا ريبته ، فتناولها بالبحث ، معتمدا في بحثه على النظر في الكتاب نفسه ، غير مكثف بأن أحدا ممن ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا له كتابا بهذا الاسم . وقد انتهى به البحث إلى نفي نسبة الكتاب إليه .

وهذا النقد الداخلي ، أو هذا النظر في الأثر نفسه من ناحية محتواه ومن ناحية أسلوبه عبر الأصل في توليفه . ومن الكتب ما يحتاج في ذلك إلى أطالة نظر وطرف تأمل وكثرة مراجعة ، ومنها ما يبدو زيف نسبته لأول وهلة . كالكتاب الذي نسب للحافظ باسم ( **تبيين القلوب والكتائب** ) . وهو من مخطوطات مكتبة كوبرلي بالاستانة ، ومضمرات دار الكتب المصرية من تلك المكتبة .

وهذا **التوثيق** هو أول ما ينبغي للمحقق أن يعنى به ، وخاصة إذا كان هناك ما يشير إلى ريبه في أمره . ولا ريب أن من أول ما يعينه عليه ، ويسفده في سبيل الحقيقة ، أن يكون وثيق الصلة بمن ينسب الأثر إليه ، وبموضوع الأثر نفسه ، محيطا بشئى ملائمه ومختلف جهاته ، واسع المعرفة بعصره ، دقيق الملاحظة ، سريع اللمح .

ويحضرنا في هذه المناسبة ما ذكره تميم الدين السخاوى ، صاحب **الفوائد اللامع** أن بعض اليهود أظهر كتابا وادعى أنه كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، باستغاث الجرية من أهل خيبر . وفيه شهادة الصحابة ، رضى الله عنهم . وذكر أن خطا على ، رضى الله عنه ، فيه . وأنه حمل الكتاب في سنة سبع وأربعين وأربعمائة الرئيس الرؤساء ، أبى القاسم على ، وزير القائم . فمرسه على الحافظ الحجة أبى بكر الخطيب . فتسلمه ، ثم قال : هذا مزور . فقيل له : فمن أين لك هذا ؟ قال : فيه شهادة معاوية . وهو آتيا سلم عام الفتح ، وفتح خيبر كان في سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو مات يوم بنى قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . ( ٢ )

فقد كانت أحاطة أبى بكر الخطيب بعصر النبوة ، واستحضاره لأحداثه مرتبطة بتواريخها مما أتاح له أن يكشف الغطاء عن هذا التزوير ، كما أهلت ذوزي معارفه التاريخية عامة ، واستغرافه في تاريخ الأندلس خاصة ، على أن يقضى في أمر كتاب الإمامة والسياسة ، قضاء علميا ، بنفى نسبته الشائعة إلى ابن قتيبة .



( ١ ) النظر : لسان العرب ٦ : ٢٨٥ مادة ( ع ر ر ) . ط بولاق ، القاهرة .

( ٢ ) الإعلان بالتزوير عن دم التزوير ص ١٠ - مطبعة الترقي ، ١٢٤٦ هـ .

**أما تحقيق نص الكتاب** تحقيقاً يهدف إلى أن يعبر عن الصورة التي أدها بها مؤلفه ، برئاساً بما قرأ عليه من تحريف أو داخله من تغيير أو غشيه من اضطراب ، فامر لا شك في ضرورته ، إداة الحق الإسماء العلمية ، ومن حق ترأسنا أن نجلوه بوجه الحق الأسيل الصادق .

وقد منى هذا التراث بالتعرض لما نكر كثيراته ، من تحريف وتصحيف وتنويه وخلط . وسقط وإقحام .

والذا كان ذلك يرجع في حالات كثيرة السرا بما يمتحن به الكتاب في مرحلة نسخة ، من جعل النسخ إذ يسوء القراءة ، أو تعالته فيبدل وبغير إلى ما يقبل إليه أنه الأصح أم الأوفق ، أم ما إلى ذلك . فإن مرجع الأمر أولاً إلى طبيعة الخطأمة ، والخط العربي خاصة . ذلك أن الخط في عمومته ليس إلا رموزاً مقاربة تدل على الكلام الذي يريد صاحبه إداؤه بالكتابة . وطبيعة الرمز القصور بذاته عن تعيين المراد تعيناً لا خلاف عليه . وأما الخط العربي خاصة فإنه تشابه بعض حروفه أشد قصوراً ، كما يقول أبو الريحان البيروني في مقدمة كتابه ( الصبغة ) :

« . . ولكن للكتابة العربية عظمة ، وهي تشابه صور الحروف المزدوجة فيها ، واضطرابها في التمايز إلى نقط الأعجام ، وعلامات الأعراب ، التي إذا تركت استهم المفهوم منها » .

ومن هذا كان الحرس على باقي العلم عن التسيو لا عن الكتب استغلا ، حتى لا يقع المعلم في الأخطاء التي تنشأ عن التماس الخط وتشابه الحروف ، وقد سموا مثل ذلك الخطا بالتصحيف . وتبدوا من يأخذ العلم عن الصحف بأنه صحفي ، وازدروه ونفروا منه ، وأطلقوا هذه العبارة التي عدت من أدب التلغ في ذلك الوقت : « لا أدخل القرآن من مصحف ، ولا العلم من صحفي » .

وعن ذلك كانت عناية العلماء بالكلام عن التصحيف ، يشبهون على المواضيع التي وقع فيها . وقد خصه بعضهم بالتأليف فيه ، كما صنع حمزة الاسفهانى من أهل القرن الرابع ، إذ وضع كتابه : « التنبيه على حدوث التصحيف » . وأبو أحمد العسكري ، خال أبي حلال ، من أهل ذلك القرن أيضاً في كتابه : « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » .

وأخذ رجال اللغة يتعقبون الألفاظ التي أسابها التصحيف ، يرفعونها إلى أصلها ، كما سموها من الأعراب أو كما نقوها عن التسيو . ومن التفرق الأول أبو منصور الأزهري ، الذي أشرنا إليه قبلاً في الكلام عما عرض لكتاب العين من الشك في نسبته إلى الخليل بن أحمد وقد أبح له أن يعيش في البادية ويحافظ الأعراب ودحا من الزمن ، حين وقع في أمر القرامطة . فكان القوم الذين وقع في سهمهم « عرباً غشواوا بالبادية » . يستمعون مساقط الغيت إيام التجمعة « طس ماوسمهم به في مقدمة كتابه « تهذيب اللغة » . وقد تصدى فيه لمثل هذه الألفاظ ، وخاصة ما وقع منها فيما يذكره اللسان المطهر . مما يراد منقولاً إليه من صحف سقيمة وزبدت فيه . ومن نقلها لم يعرف العربية ، فصحف وغير فاكتر ، كما جاء منقولاً عنه في مادة ( ح ص ب ) من لسان العرب .



## تحقيق التراث : طريقا ومنهجيا

ودأجت هذه الآفة رجال الحديث ، بعد أن سيطرت صناعة الوراقة على روايته ، فسادا بأعلام المحدثين ، رواة الحديث ورجال سنده ، تخضع لذلك اللبس ، وهم الأساس الذي ينسبر عليه نقد الحديث والحكم عليه وبيان مرتبته ، فكان لابد لهم من معالجة هذه الآفة ، والخطا ما يجنبهم آثارها ، فكان أن تشأ عندهم نوع من الدرس وباب من أبواب التصنيف سموه : المؤلف والمختلف ، خصوه بما تنفق من أسماء الرواة صورته ، وتفرق في اللفظ صيغته ، أما من ناحية الضبط ، وأما من ناحية الحروف المشبهة ، مع التعرف بكل اسم من هذه الأسماء .

ذلك هو الأصل فيما تعرضت له نصوص الكتاب العربي من تحريف ومخالفة للأصل كما أذاه مؤلفه ، إلى جانب ما أشرنا إليه قبلا من جهل النساخين أو حذفتهم .

وكما تداولت الكتاب أيدي النساخ أصبحت مسافة الحذف بينه وبين ذلك الأصل ، إلا أن يكون ناسخه قد قراه على مؤلفه وأجاره ، وأن يكون من سانشخته من أصحاب الضمير العلمي اليقظ ، الذين لا يشعرون ما تعلبه عليهم خواطرهم ، وإنما يقفون عند حدود ما ينسخون ، إلى جانب العلم بموضوعه ، والالفة للفتة وأسلوب مؤلفه . ونجل هذا كله في النقة أن تكون النسخة التي بلغنا نسخة المؤلف التي كتبها بيده ، أو قرئت عليه فأجازها ، وهذه حالات معدودة ، أما جمهرة التراث فقد يصدور عليها ما قاله المباحث في سياق حديثه عن الترجمة ، والشكك في صحة أدائها ، وصحة ما بلغنا منها ، إذ يقول :

« ... لم نصبر إلى ما يعرض من الأفتات لأصناف النساخين . وذلك أن نسخته لا يعدها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة من يزيد من الخطا الذي بعده في النسخة ثم لا يتقص منه ، ثم يعارض بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذ كان ليس من طاقته إصلاح السقط الذي لا بعده في نسخته ، ... ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لآسان آخر ، فيبصر فيه الأوراق الثاني سرة الأوراق الأول . ولا يزال الكتاب يتداوله الأيدي الجانية والأمراض الفسدة ، حتى يصير غلطا عرفا وكذبا مصمنا ، »

ومن هنا تبين ضرورة تحقيق النص بالمعنى الذي قدمناه . واتخاذ الأسباب المختلفة لهذا التحقيق .

ومن هذه الأسباب ما يرجع إلى المحقق ، والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه ، ومنها ما يرجع إلى موضوع التحقيق ، وهو النص .

**فاما المحقق** فينبغي - إلى جانب كونه من أصحاب الضمير العلمي المتحرج - أن يكون عالما بموضوع النص الذي يحققه ، عارفا بالأساليب المتبعة في معالجة ذلك الموضوع ، والأسلوب الغالب على العصر الذي ينتمي إليه ذلك النص ، من ناحية صياغة الجملة ، والمفردات الشائعة ، والأخطاء الغالبة . مع سقراءة الخطوط المختلفة ، مشرقية ومشرقية ، أو على الأقل خطوط نسخ النص التي بين يديه .

**وأما ما يتعلق بالنص** فأول ذلك تقصي مخطوطاته في المكتبات المختلفة ، واستحضارها أو استحضار صورها ، ودراستها ، ومعارضة بعضها ببعض ، ومحاولة التعرف بذلك على عهد نسخ كل منها ، وملاحقة طريقة الخط ونوع الورق وما إلى ذلك ، إذا لم تكن تواريخها مثبتة عليها . ثم التعرف - تسير الامكان - على الخصائص الموسوعية لكل منها ، ومحاولة التعرف كذلك إلى ما قد يكون من صلات نسب بينها ، فربما ناهض ذلك المحقق ما يبرر اتخاذ أحدها أصلاً ، أن لم يكن بينها ما يوجب ذلك لها ، كان تكون نسخاً أو لفافاً أو نسخة ولغة الصلة بها . ومن هذه الدراسة محاولة استخلاص شيء من ملامح ناسخها العقلية ، كأن يكون النسخ جاهلاً أو متلفساً أو غالياً . وقد يكفي الناسخ الجاهل أو ضعيف الثقافة برسم الحروف على ما خلبت إليه ، وفي الصورة التي مثلت أمامه ، دون أن يدرك مدلولها ، وقد يكون متسامحاً قليلاً بما يتجاوز ما تعنى عليه ويغفل ، وأما الناسخ المثقف فقد يكون أميناً في تادية ما ينسخه ، وقد يكون رجلاً متحفظاً لعقله حذقته على أمره ، فلا يرى بأساً في أن يحجم نفسه على النص ، ويستطيع لنفسه أن يضع كلمة مكان كلمة يرى أنها الحق مكانها سها ، إلى غير ذلك من صور التعرف في النص والتحكم فيه ، مما قد يجعله أكثر جناية عليه ، وأشدّ صداً عن كلام المؤلف ، من الناسخ الجاهل .

وبهذه الملاحقة الدالية البقطة يستطيع المحقق ، وهو يقارن النص في مخطوطاته المختلفة ، أن يفترض ما هو من صنيع هذا الناسخ أو ذاك ، لأنه أشبه به ، إذا استطاع أن يتبين الطابع الغالب فيه ، إلى جانب ما تؤديه إليه معرفته بأسلوب المؤلف وطريقة تفكيره وعادته الكتابية وما إلى ذلك مما أشرنا إليه منذ قليل . فذلك هو الأصل في ترجيح قراءة على أخرى . ونصاً بفضل القراءة نظيرتها بأن أشبه بأسلوب المؤلف وطريقة تعبيره ، لأن يكون أفضل في نظر القارئ ، أو أصح لغة وصياغة .

والى جانب استقصاء مخطوطات النص ومعارضة بعضها ببعض ودراستها يحسن أن يستأنس - ما أمكن - بما يمكن أن يسمى **بمصادر التحقيق غير المباشرة** ، ونعني بها النصوص التي ننسجى إلى الكتاب موضوع التحقيق ، والتي وردت منسوبة إليه أو غير منسوبة ، في كتب أخرى .

ومن الأدوات التي يحسن الاستعانة بها في تحقيق النصوص المتقولة عن لغة أخرى ، أو التمر لها لترجمة قديمة ، هذه الأصول المترجم عنها ، أو التراجم التي وضعت بلرائها .

ومن ذلك ما صنعه الدكتور طه حسين في تحقيق نص المعاهدة التي عقدت بين الملك الأشرف خليل بن قلاوون الصالح ، أحد ملوك مصر ، وملك أراجون ، سنة ٦٩٢ هـ . وهو النص الذي أورده الفيلسوف في الجزء الرابع عشر من كتابه صبح الأعشى ، إذ لجأ في ذلك التحقيق إلى الترجمة الإسبانية التي وضعت باراء النص العربي ، واستطاع بذلك أن يحرره في الصورة التي تقدم بها إلى مؤتمر العلوم التاريخية الذي انعقد في بروكسل سنة ١٩٢٣ .

ويمكن أن يذكر من هذا القبيل ما أتبع لي ، فيما حاولته من تخريج بعض النصوص الأرسطائية في كتاب الحيوان للجاحظ ، والمقارنة بينها وبين نظائرها في الأصل اليوناني كما ترجمه إلى الفرنسية سانتيلير ، من تصحيح بعض ما وقع فيها من تحريف أو تصحيف أو خطأ . (٢)

على أن الأمر في أسلوب التحقيق وأدواته مرتبط بعد ذلك بالنص من حيث موضوعه وصورته ، وما يتطلبه ويشير إلى به ، وهو أمر لا يتكاد يفتقد في التفصيلاته عند حد .

وبعد ذلك لا ينبغي أن تغفل ، في هذا السياق ، الإشارة إلى بعض الأمور المكتملة لتحقيق النص ، والتي تهدف إلى إزالة لُباز القسور عنه ، بتجليله وتوضيح ملامحه وإبراز معالمة ، وإلى تيسر استخدامه والرجوع إليه في وجوه الدراسة المختلفة ، وذلك مثل تخريج النصوص ، وشرح الألفاظ الاصطلاحية ، وخاصة ما يوردونها في كتب التراث العلمي ، والأحوال السببية مراجعها ، وبيان ما يمكن أن يقابلها في المصطلح الحديث ، وفهرستها ، إلى غير ذلك من أنواع القمارس .



وإذا كان الأسلوب المنبع غالباً الآن في تحقيق النصوص ونشرها ، من ناحية استقصاء النسخ المخطوطة واليات قراءاتها واختلافاتها في هوامش الصفحات ، واستخدام الرموز المصطلح عليها في ذلك ، يرجع في جذورها إلى الأسلوب الذي أتبعه محققو التراث اليوناني واللاتيني ، وأخذ به عنهم المستشرقون فيما حققوه من التراث العربي ، وإذا كان محققونا الأقدمون لم يكن لهم هذا الأسلوب ، فإن الأمر لا يعدو ـ في حقيقته أن يكون اختلاقاً في الأسلوب فقط ، مع الاتفاق في الأصل ، وهو رعاية حق النص والدقة في تحريره ، بكل ما يتضمن ذلك من حرص على ذكر الروايات المختلفة والقراءات الواضحة والمحتمة ، ومن التصريف بالنسخ المنقولة والمنقول عنها ، والاتساع بشيخة المؤلف أو النسخة التي قرئت عليه وأجازها ، والأحاديث التي يعتمدها التبع لتلاميذه بقراء ما قرأوه عليه ، ومقالاتهم بذلك . فذلك أمر يقع فيه المسلمون القايمة أو شرفوها ، وأن مأسسة علماء الحديث من أصول ومبادئ وآداب ، وما دونه من دراسات في كتابة الحديث وضبطه ، وفي مقارنة أصوله ، وما وضعوا في ذلك من قواعد ، وما اصطالحوا عليه من سمات دالة وعلامات هادفة ، إلى غير ذلك مما افاضت فيه كتب آداب الإملاء والاستعلاء وعلوم الحديث عامة ، وقد تجاوز حدود الحديث إلى التدوين في فنون العلم المختلفة ، مما يدل دلالة واضحة على مبلغ ما كان أسلافنا يقفون به على حق النص ، والدقة في أدائه .

(٢) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد السادس ، السابع ، ( ١٩٨٣ ) ، والمجلد الثامن ، ( ١٩٨٤ ) ، ومجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد التاسع والعشرون والمجلد الثاني والثلاثون .

وقد كان من الطبيعي أن يتخذ الأوروبيون فيما اتجه اليه مستشرقوهم وعلماء به من تحقيق التراث العربي الأسلوب الذي استعملوه في تحقيق التراث اليوناني واللاتيني ، فالغاية واحدة ، والتراث العربي كان يحل لهم مصرا من عناصر حركة الإحياء التي تعثرت في أحياء الآثار العقلية الأولى . فهذا التراث كان من أسبابهم التي تروم اليوناني ، فمن ابن رشد وابن سينا والخوارزمي وغيرهم من علماء المسلمين عرفوا أرسطو وأفراط وبطليموس ، وبالكاتب العربية التي كانت صناديرهم وقوام تفكيرهم في أبنائ تلك الحركة ، كتب الكندي والفارابي وابن الهيثم والغزالي ، استطاعوا أن يتصلوا بتراثهم اليوناني .

وأحسب أن حركة نشر الكتب العربية التي بدأت عند الأوروبيين بعد اختراع المطبعة انما كانت لونا من ألوان الاستجابة لهذه الحاجة العقلية ، ألا نجد بين ما نشر هناك في القرن السادس عشر كتاب النجاة وكتاب الفاتون في الطب لابن سينا ، **وتحرير أصول الهندسة لاقليدس** ، لتفسير الدين الطوسي ، وقد طبعت في روما ، ثم نضمت هذه الحركة فلما ، ونشرت هنا وهناك ، فتخذ لها مراكز مختلفة في أنحاء العالم الأوروبي : في لندن وأمستردام ولاهاي وأكسفورد ولندن وكمبريدج وباريس وميدلبرغ وروستوك وهاله ولينا ، وغيرها من المدن الأوروبية ، وقد كان يحقق كتب التراث العربي من أول ما عثرت به ، فتناولته من ألسنة المختلفة : تاريخية وجغرافية وفلكية وفلسفية وأدبية ، بل إنها امتدت إلى كتب النحو العربي فكان من أوائل ما طبع في روما كتاب الكافية للعالم المصري ، جمال الدين بن العاجب .

ومن أجل هذه الغاية أنشئت **جميعات الاستشراق** ، كجمعية المستشرقين الألمان ، والجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية ، والجمعية الآسيوية الفرنسية ، وأخذت لها مراكز مختلفة تنوهر فيها أسباب التحقيق ، كباريس وليدن ، وكانت أول استانبول مركزا من مراكزها ، فكان استانبول من التراث العربي ، ومنها صدرت المجموعة التي صبت بتحقيقها ونشرها بعنوان : **التراث الإسلامي** .

وفي ظلال هذه الحركة نشأ كثير من المستشرقين الذين وجهوا كثيرا من عنايتهم أن لم يكن جلها ، إلى نشر التراث نشرًا محققًا في حدود القواعد المتبعة عندهم ، مثل كاردون الفرنسي الذي نشر في منتصف القرن الثامن عشر إصدارات من كتاب **السلوك للقرظي** ، باعتبارها وثيقة من وثائق تاريخ لويس التاسع ، على أن أكثرهم ، فيما أعلم ، جعل تحقيق هذا التراث ونشره غاية في ذاته ، لا من حيث كونها مرتبطة بما يعالج من بحث . ومن ذلك نرى رجلا مثل ( دى ساسي ) الذي عاش في القرن الثامن عشر والتاسع عشر نشر من كتب الأدب كلفة ودمشقة ومقامات القرظي ، ومن كتب الرحلة مرحلة عبد القليطيف البغدادي ، ومن كتب النحو الفقهية ابن مالك ، كما نجد معاصره ( كوسمان دي برسيفال ) ينشر من كتب الأدب شرح الزواجري لمعلقة أمراء القيس ، ومن كتب الفلك الزيج الكبير الحاكي لابن يونس ، والصور السماوية للسوفي . وكذلك كانت غداة من جاء بعدهما من تلاميذهما بالتراث العربي ، مثل كاتومبر ،

## تحقيق التراث : تاريخا ومنهجيا

ولدى سيلان ، الفرنسيين ، وكوديجاردن الألماني ، ودي جويه الهولندي الذي نشر من كتب الادب ديوان مسلم بن الوليد ، ونشر من كتب التاريخ فتوح البلدان للبلاذري ، وتاريخ الاسم والملوك للطبري ، كما نشر مكتبة الحفرايين العرب . وطلوغل الذي نشر فهرست ابن النديم ، واكتشف الظنون للحاج خليفة ، وادي بهما أجل خدمة لمحققي التراث والباحثين عنه .

وليس بنا في هذا الفصل ان نستقصي حركة تحقيق التراث العربي عند المستشرقين ، او نتبين وجوهها . فانما اردنا بما ذكرنا من ذلك ان ندل على هذه المرحلة من مراحل تحقيق التراث ، وان نتبين منشأها الذي صدرت عنه ، ومنهجها الذي اخذت به ، وطابعها الغالب عليها ، وصلتها بما جاء بعدها من مراحل تحقيق التراث واجلجانه في البلاد الاسلامية .

ولعل اول هذه البلاد التي عنت بالتراث العربي ستخدمة الطباعة ، لم لم تلبث طبعاً انحت اليه من ذلك ان اصبحت بالحركة الاستشرافية ، وتأثرت بطبيعة الحال بها ، من بلاد الهند .

وكان اول ذلك هو انشاء المطبعة العربية في كبرى المدن الهندية : دلهي وكلكتا وبمباي وعن هذه المدن التي لم تلبث ان اصبحت من مراكز الثقافة العربية ، صدرت مجموعة ضخمة من كتب التراث العربي الاسلامي ، لعل باكورتها كان تفسير الجلالين الذي صدر من دلهي في اواخر القرن الثامن عشر ، سنة ١٧٩٦ .

لم كان مما اتاح لها ان نشأت بينها وبين حركة تحقيق التراث العربي في اوروبا بعض الصلات ، في ابان التعود الذي كانت تعارضه في الهند ( شركة الهند الشرقية ) ، وكان بعض صور نشاط هذه الشركة يدعوها الى استخدام بعض المستشرقين ، وكان من ذلك ان بعثت الى الهند في اواخر القرن الثامن عشر المستشرق الانجليزي ماثيو لمسن ، وكان مما عهد اليه ان يتولى فيها تنظيم مطبعة كلكتا . ومنذ ذلك الحين جعل يعارض نشاطه في تحقيق التراث العربي ، فصدر من هذه المطبعة القاموس المحيط للفيروزبادي ، ومقامات الحريري ، وغيرهما . ويختلف لمسن في ادارة مطبعة كلكتا مستشرقاً انكليزياً ، كان جاء الى الهند جندياً في الجيش البريطاني ، واهلته لقافته الرابعة وانجابه الى الاستراق ان يتولى ذلك المنصب ، وهو وليم ناسوليس . فعطى في الطريق الذي سبغه اليه سبغه ، مشاركاً بعض علماء الهند في تحقيق ما كانوا متجهين الى تحقيقه ونشره من كتب التراث العربي الاسلامي ، كالمولوي عبد الحق غلام قادر ، والمولوي كبير الدين ، في مثل تفسير الكتابات للرحماني ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، ونخبة الفكر في مصطلح اهل الانر لابن حجر .

ولم ينحصر نشاط المستشرقين في الهند في هذه الفترة في ابناء الجزيرة البريطانية ، فقد رأينا شركة الهند الشرقية تبعت ايها في النصف الاول من القرن التاسع عشر برجل نمسوي من اهل النرويج ، كان قد درس الاستشراف ثم استطاع ان يكون بعد ذلك طبيباً ، وبهذه



الصفة بحث إليها . ولكنه لم يتكده بلغها حتى اصرف الى دراساته الاستشراقية . وأقبل على التراث العربي الاسلامي مع بعض من غفلته بهم من علماء الهند ، مثل سديد الدين خان ، والجلوي بشير ، ومولي غلام قادر ، بحقق ونشر منه بعض الكتب التي كانت موضع اهتمام خاص في الهند ، كالانقار في علوم القرآن السيوطي ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، ولهرست كتب الشيعة لمحمد بن حسن العلوي ، ذلك هو ميرنجر النيرولي .

واستمرت صلة المستشرقين بحركة تحقيق التراث العربي في الهند ونشره ، مقيمين بها ، أو بعيدين عنها ، حتى نجد مثلاً ان كتاب المصاري لابي عبد الله الواقدى الذي حققه المستشرق النمساوي فون كريمر ، صدر عن الكتب في الهند سنة ١٨٥٥ . كما نجد مستشرقاً آخر ألمانيا يتفق مع دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد على أن يتولى تحقيق بعض المخطوطات العربية والتعليق عليها ، فابيح له من ذلك جملة غير صغيرة ، كالجوهرة لابن دريد ، والدرر الكامنة لابن حجر ، ومعاني الشعر لابن قتيبة ، وهو فرنسيس كرنكو .

وجملة القول في هذه الحركة في الهند انه اتيح لها من حماسة اهل البلاد وصفق عربتهم ، ومن انصاهم بكثر من المستشرقين ، مقيمين بينهم ، أو علمين بهم ، أو مراسلين لهم ، ما جعلها تفيض في طريقها سديدة الخطى ، شديدة النشاط . وقد جعلت الكتب العربية الاسلامية تصدر تالياً عن دائرة المعارف العثمانية ، يعيد راياد الفكن ، ومعهد الدراسات الاسلامية ، بجامعة عليكرة ، وما اليهما ، ونشأت ناشئة من علماء الهند احرصت بالتحقيق ، ومهرت فيه ، ونفذت في دقائقه ، مع اخلاص العلم شديد ، واصبحت بذلك موضع الثقة في البيئات العلمية ، يمكن أن نمثلهم في شيخوهم عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، محقق الآل ، لابي عبيد البكري وغيره ، ومحمد بقر الدين العلوي ، محقق شرح المختار من شعر بشار ، لابي الطاهر التجيبي ، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، محقق كتاب الانساب للسمعاني ، والاكمل لابن ماكولا ، التي كتبه غيرهم ليس تنافي هذا الفصل ان نستقصيهم .

وهكذا نرى ان امر التراث العربي في الهند لم يتكده يبدأ باستخدام المطبعة حتى وجد من المستشرقين من حقوا به ، وشاركوا في اخراجه . واحسب انهم ملقوا عليه ما عرفنا منهم من اساليب التحقيق .

**ونال البلاد الاسلامية التي اتيح لها استخدام المطبعة في اخراج التراث العربي من تركيا . وكانت تركيا - منذ آل اليها لقب الخلافة - وسيطرت على اثر الانظار العربية - حريصة على أن يؤول إليها ما لهذه الانظار من مظاهر حضارية ، وان تسيح في المقدمة من مراكز الثقافة الاسلامية ، وهي الثقافة التي تمثل اول ما تمثل في التراث العربي ، وبهذا الحرص وبالعاطفة الدينية المسيطرة على نفوسها لم تلبث ان أصبحت من اهم مراكز هذا التراث ، انتقل إليها بعضه من هذه الانظار التي سيطرت عليها ، وعلى سلاطينها وامرائها وسراياها ، ينكرون عنه ، وينفرون الى الله الخزان ينشئون له .**

وإذا كان أول ما نعرف من استخدام المطبعة في نشر كتب التراث العربي في الهند هو في أواخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٩٦ ، فإن أول ما نعرف من ذلك في تركيا كان في أوائل القرن التاسع عشر ( سنة ١٨١٩ ) بطبع كتاب الكافية لابن الحاجب ، ثم توالى بعد ذلك ظهور الكتب المطبوعة فيها ، وصدرها عنها ، وبدوانه اقتصر في إخراجها على طبعها ، وأكبر القس أنها قد حظيت بغير قليل من الدقة في مراجعة نصوصها وتصحيحها ، ولكن لم يؤخذ في ذلك بشيء من السلب التحقير العلم الحديث .

وأخرى أن حركة إخراج كتب التراث العربي بطبعها في تركيا لم تكن تعنى متاعا لاكتساب المأخزين التي كانت - فيما يبدو - الكتب التي تعتمد عليها طلاب الدراسات الإسلامية في مراحلها الأخيرة ، ككتاب الكافية الذي اشرنا اليه ، وحاشية السيالكوتي على شرح السعد للمقاليد النسفة ، وشرح الموافقات لعلم الدين الأبرق الكلام ، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني في الأصول . أما كتب الأدب فيبدو أنها لم تجد العناية بها هناك إلا في وقت متأخر ، وخاصة بعد أن أنشأ أحمد فارس السدياق جريدة الجوائب في القسطنطينية ، فصدر عن مطبعها كتاب الموازنة بين الطائفتين الأمدى ، سنة ١٢٨٧ هـ ( ١٨٧٠ م ) وديوان البحري ، سنة ١٣٠٠ هـ ( ١٨٨٣ م ) وكتاب نثر الأزهري لابن منظور ، سنة ١٢٩٨ هـ ( ١٨٨١ م ) .

حتى إذا اتجهت جمعية المستشرقين الإثنان إليها ، فالتفت في استنبول مركزا لها ، وقام على هذا المركز المستشرق ريش ، فقد أخذ بتحقيق التراث العربي فيها صورته العلمية الحديثة المعهودة عند المستشرقين ، فيما صدر فيها عن ذلك المركز من كتب ذلك التراث ، كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ، وكتاب فرق الشيعة للنوبختي وكتاب التوقيات للصفدي ، وكتاب أسرار البلاغة للجرجاني .

كما عرفت بعد ذلك جامعة استنبول وجامعة أنقرة بتحقيق التراث العربي ، فصدرت من المعهد الشرقي في جامعة استنبول بعض الكتب التي عني بتحقيقها عليها بعض العلماء العرب كمحمد بن ناوي الطنجي ، ومن ذلك كتاب الكفاية عند المذاكرة للطائفي . ومن كلية الآداب بجامعة أنقرة كتاب شفاء السائل لتهديب السائل ، إلى غير ذلك من الكتب التي تفر على تحقيقها محمد بن ناوي متلة أخذ من تركيا موطنها عليها له ، وبعض علماء الأتراك الذين اتجهوا هذه الوجهة ، كإبراهيم أتابجويفجي وحسين آتاي .



وإذا عرضنا للهند وتركيا من البلاد الإسلامية غير العربية ، وشأن التراث العربي فيها ونصيبهما في تحقيقه ، فعلينا أن نذكر ثلاثة هذين البلدين ، وهي إيران .

وإيران ، منذ القرن الرابع للهجرة ، ثالث من أهم مواطن الكتاب العربي ، وذلك منذ ثم لها أن تكون من أهم مراكز الثقافة العربية ، على الرغم من ليلق متاعير القومية الفارسية

بها ، فقد أصبح الأمراء والسراة يتنافسون بها فيما بينهم على استياع الطابع الأدبي العربي على مجالسهم ، وعلى أن تكون لهم خزائهم التي تضم أغالس الكتب ولخازنها في شتى صوف المعرفة ، وأن يكون لهذه الخزائن امتواها ونساجوها وورانسوها ، كما كانوا يتنافسون في ذلك بشداد مقر الخلافة العباسية ، وقد ازدهرت مدن فارس وخراسان وأذربيجان وما إليها من الأقاليم الإيرانية بالعلماء الذين كانت العربية لغتهم - سواء كانوا من أصل عربي أم من أصل فارسي - فيما يؤلفون من كتب ، وما بلغون في حلقاتهم من دروس ، كما كانت لهم أيضا خزائن كتبهم ، يقولون بها ويحرضون عليها ، وإلى جانب هؤلاء وأولئك من كان يرى في إنشاء المكتبات وامتدادها لطلاب العلم وتحسينها دراسة الأموال الموقوفة عليها فربة من أجل القربات .

والعلنا نستطيع أن نتمثل صورة من الترفاقتي بلغتها العناية بإنشاء خزائن الكتب العربية في إيران في القرن السابع للهجرة ، فيما ذكر من ذلك باقوت الحموي ، في سياق الرسالة التي وجهها إلى جمال الدين القمطن ، عقب عودته من رحلته إلى بلاد المشرق ، إذ يذكر فيما قص من شأن هذه المرحلة مقامه في مرد التناحاجان ، وأنه : « وجد بها من كتب العلوم والآداب ، وسحائف أولى الأفهام والإنباب ، ما شغله من الأهل والوطن ، والعاء من أن خل صفي وسكن ، ففقر منها بضائنه المشبودة ، وبقة نفسه المفقودة ، فاقبل طلبها قبل انهم الحريض ، وقابلها بما لا يرمع معها عنه محيض ليعمل يرنع في حفاقتها ، ويستمتع بحسن خلقها وخلاتها ، ويسرح طرفه في عرقها ، ويتلذذ بسوطها ولغتها ، واعتقد المقام بذلك الجنب ، إلى أن يجاور التراب (١) » .

وتكمل هذه الصورة ، ونوضح ملامحها بما يذكره في موضع آخر ، في حديثه عن عمرو وما يعتبره من خصائصها ، إذ يذكر من ذلك كثرة الكتب الأصول المقتنة بها ، « ويعقب على ذلك بقوله : « فاني فارقتها وفيها عشر خزائن الوقف لم أر في الدنيا مثلاً كثرة وجودة » منها خزانة في الجامع ، أحدهاها يقال لها العربية ، وقفها رجل يقال له عزير الدين أبو بكر عتيق النجاشي ، أو عتيق بن أبي بكر ، وكان نقابيا للسلطان سنجر ، وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ، ثم صار شرايبا له ، وكان ذا مكانة منه ، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها ، والآخرى يقال لها الكعالية ، لا أدري إلى من تنسب - وبها خزانة شرف الملك المستوفى ، أبي سعد محمد بن منصور - في مدرسته - ومات المستوفى هذا سنة ٤٩٤ ، وكان حنفي المذهب - وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق ، في مدرسته -

وخزانة للسعديين - وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، وخزانة لمحمد الملك - أحد الوزراء المتأخرين بها ، والخزانة الخاوية ، في مدرستها - والنسجيرية في خانكة هناك -

## تحقيق التراث : تاريخاً ومنهجاً

وكانت سهلة التداول لا يعارَف متزلي منها مائتا مجلد ، وأكثره بغير رغن ، تكون فيمنها مائتي دينار . فكانت أربع فيها ، وأقتبس من فوائدها . وإنساني حبها كل بلد ، وإلهاني عن الأهل والولد ، وأكثر قوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعه فهو من تلك الخرائن ١٥١ .

ولغاية ما يدل عليه أنهار ياقوت بهذه الصورة التي رأها في مرو ، في شرقي خراسان ، أنها صورة رائعة قليلة النظر فيما أتيج له أن يشهد فيما مر به من بلاد المشرق ، لا أنها انغرقت بها . أما مادون ذلك فلا بد أنه كان لها قدمتا من أسباب وملايينه - أصراً شاعرا في مختلف المدن الإيرانية .

ومعاً يكن من شأن ما حل بكثير من هذه المدن من اغارة جحافل المغول عليها ، وطمسهم كثيراً من معالمها ، فلا ريب عندنا في أنها استطاعت على الرغم - من ذلك - الاحتفاظ بقدر غير قليل من التراث العربي ، متمتت بين أرجائها الفسيحة المتاعدة ، كما احتفظت بالثقافة العربية ممثلة في كثير من علمائها وأدبائها ، وبعض العلماء العراقيين الذين أبقي المغول عليهم ، فسروهم إليها ، وأقاموهم بها ، كالذي نعرفه من شأن نصير الدين الطوسي الذي ما أن بلغ الدريجان حتى اتساق في مدينة ( مراغة ) الرصد المنسوب إليه ، وأنشأ إلى جواره مدرسة وخزانة كتب تضم نحواً من أربعمائة ألف مجلد ، وكما نعرف أيضاً من شأن صاحبه كما الدين بن الفوطي الذي كان قيم هذه الخزانة زهاء عشرة أعوام . ويقول السيد محمد رضا الشيبسي في كتابه عنه : « وكان مؤرخنا المذكور بحكم عمله في المكتبة خير الإيجار بشؤونها ، علماً تحدث عنها في معجمه » (١٦) ومن جملة محتوياتها النادرة والمصنفات القيمة والكتب المصورة التي أهدبت إليها ، أو إلى سلاطين المغول . وكثير من هذه النسخ المختارة بخطوط مؤلفيها ، أو بخطوط مشاهير النساخ والخطاطين والوارثين ثم يقول : « ولا نلصق كذلك أن هذه التحف نقلت ، فيما نقل من كتب هذه المكتبة إلى تبريز » (١٧) . وقد كانت تبريز مركزاً من أهم مراكز الثقافة العربية في إيران ، قبل الزحف المغولي وبعده . وفيها - كما يرى السيد الشيبسي - كتب ابن الفوطي كثيراً من كتبه .

وبعد أن استقر المغول في المشرق وتحول كثير منهم إلى الإسلام ، تحول كثير من علماء بغداد والعراق عامة إلى إيران ، يعارضون فيها نشاطهم ، على الرغم مما منيت به . فكان لذلك أثره في استعادتها شيئاً من نصرتها ، والأكثر الدراسات العربية عادت فيها سيرتها ، فلن ارتباط العربية بالإسلام أبقي بصورة ما على هذه الدراسات ، كما أصبح عليها من القداسة ما أعاد للتراث العربي قنوه وخطره ، على الرغم من تضائق المكان الذي بقي للعربية هنالك .

(١٥) معجم البلدان ٨ : ٢٥ - ٢٦ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٠٦ .

(١٦) بقصد كتاب ( مجمع الآداب في معجم الاسماء ) للكتاب .

(١٧) مؤرخ العراق ابن الفوطي ( ٢ : ٢١٤ ) من مطبوعات المجمع العلمي العراقي السنة ١٩٥٠ .

وعن هذه الصلة الوثيقة التي لا انفصام لها بين الإسلام والعربية ، والقداسة التي أسبغت على العربية من هذه الصلة ، وعن كون التراث العربي أصبح جزءاً من تراث الأمة الإيرانية ، وعنصرها من أهم عناصر شخصيتها ، بقي لهذا التراث مكانته منها ، واستمر تعلقها به وحرسها عليه ومغالاتها به ، كما يمكن أن تتمثل هذا في الفصل الذي كتبه الدكتور حسين علي محفوظ منذ عشرين عاماً ، وكان قد أتيح له أن يتيم في إيران خمس سنين ، مكثاً على الدراسة والبحث والتنقيب ، وقد قرر في هذا الفصل أنها لا تزال عامرة بكثير من خزائن الكتب الحافلة بالخطوط النادرة ، والنقائس المخدومة والأسفار القيمة (١) ، أن في مشهد وقم وأصفهان وشيراز وطهران وتبريز ورنجان والاهواز خزائن لا يسعها الإحصاء ، وأن نقائس بعض الخزائن التي ذكرها لا يحيط به الوهم ، « هذا من الخزائن الخصوصية التي لم ينح لي الإطلاع عليها ، وإنما يحتاج كل منها إلى فهرس مفرد ربما يلفت عدة أسامي نوادره فقط أضعاف أضعاف هذا البحث ، بالأوصاف والتشروح (٢) » .

ومن هذا التاريخ الحافل والحاضر الزاخر للتراث العربي في إيران ما يزال يراودنا ويبلغ علينا خاطر أنه من كل ذلك ما يبرره ، وهو أن قدراً غير قليل من التراث العربي الذي لم يكشف عنه بعد ، والذي يغلب على ظن الكثير من الدارسين أو يسبق إلى ذهنهم أنه شاع قيعاً ضاع منها ، لا يزال مستقراً في خزائن الكتب في إيران ، ينتظر كشف النقاب عنها وفهرستها واثباتها كليا حتى والدارسين ، ولعل هذا خاطر الملح كان ممساً جعلنا نكتب ، في سياق هذه الدراسة ، هذه الفقرة من إيران ومكان هذا التراث منها ، وإن كانت لم تسهم في حركة تحقيقه بما يتناسب مع مكانته هذه فيها .

وكما اتخذت العناية بكتب التراث العربي ، في أوائل هذا العصر ، في كل من الهند وتركيا ، صورة إخراجها مطبوعة ، كذلك كان الأمر في إيران ، فعندما أُنشئت لها المطبعة بادرت باستخدامها في إخراج بعض الكتب العربية التي يبدو لنا أن كثيراً منها يقع من الحياة الدنيوية والعقلية والدراسية فيها موقفاً خاصاً . كان تكون من الكتب التي كتبها أئمة الشيعة وعلمائهم ، أو من الكتب الإيرانية النسب ، أو الكتب التي يحتاج إليها ويعتمد عليها في معالجة درس العربية . وقد جمعت هذه الكتب تصدر عن تبريز مرة ، وعن طهران مرة أخرى .

فكان من أول الكتب التي أخرجتها المطبعة الإيرانية كتاب ( نهج البلاغة ومشرح الفصاحة ) الذي جمع مادته الشريف الرضي مما أُرسل من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد صدر عن تبريز ، في منتصف القرن التاسع عشر سنة ١٨٥١ ، كما صدر بعد ذلك بثلاثة أعوام ، من طهران ، الشرح الذي كتبه عليه ابن أبي الحديد ، من علماء القرن السابع للهجرة ،

(١) نقائس المخطوطات العربية في إيران - مجلته معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ( مايو ١٩٥٧ ) .



### لتطبيق التراث : تاريخاً ومنهجاً

لم شرح كمال الدين بن عسليم البحراني ، من أهل القرن الثامن ، ومن هذا القبيل أمالي الشريف المراتبي المعروفة باسم إمرز القوالد وندر القلاندي في المحاضرات ( ولا ريب أن إيران هي صاحبة الفصل الأول في أخراج مثل هذه الكتب التي تعد من صلب الأدب العربي ، مطبوعة .

ومن كتب الأدب التي بادرت إيران إلى أخراجها مطبوعة ديوان **سقوط الزند** لأبي الغلام المغربي ، شرح أبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوي ، المسمى بالنويز ، وربما كان معاً أناج لهذا الكتاب أن يصدر عن إيران ، في أوائل العهد بالكتب المطبوعة فيها سنة ( ١٨٥٩ ) ، نسبه الإيراني . فحوى التي تنسب إليها أبو يعقوب ، صاحبه هذا الشرح ، « بلد مشهور من أعمال آذربيجان » ، كما يقول ياقوت . ولذلك سقت هذه الطبعة طبع مطبعة بولاق له بمصر سنين (٩) .

على أن هناك طائفة من الكتب التي بادرت إيران إلى أخراجها مطبوعة ، دون أن يكون لها طابع إيراني خاص ، وإنما كانت تنطليها الدراسات الإسلامية أو الأدبية أو اللغوية ، مثل كتاب ( النهاية في غريب الحديث ) ، لمجد الدين بن الأثير ، وقد طبع سنة ١٨٥٣ ، وديوان امرئ القيس بشرح أبي بكر عاصم بن أيوب البجليوسي ، وقد طبع سنة ١٨٦٠ ، قبل أن يطبع للمرة الأولى في مصر بضمي سنوات وكتاب ( معني القيس من كتب الإعراب ) ، لابن هشام .

وطبعي أنه لم يراع في أخراج هذه الكتب في مدى علمي ، أسلوب التحقيق العلمي الحديث ، إلى أن أنشئت جامعة طهران ، وكان مما عنته أخراج بعض الكتب العربية التي يطلب على الطالب أن أخذ في تحقيقها بذاك الأسلوب .



**فإذا انتقلنا من البلاد الإسلامية غير العربية إلى البلاد الإسلامية العربية ، وجدنا في مقدمتها ، من ناحية العناية بأخراج التراث وتحقيقه في هذا العصر ، مصر .**

وبعد ذلك يرجع إلى إنشاء المطبعة بها ، ومطبعة بولاق خاصة ، وقد أنشئت سنة ١٨٢٢ ، وإن كانت مقصورة في سنها الأولى على طبع ما كان محمد علي ، رأس الأسرة الخديوية ، معنيا به من الكتب الناطقة المترجمة إلى اللغة العربية ، والمحروقات الديوانية ، التي جانب قليل من الكتب العربية التي كانت تستخدم في درس اللغة العربية وبعض العلوم الإسلامية ، في المدارس التي أنشأها ، وفي حلفاء الأزهر . ومن ذلك كان أكثرها من كتب المناخين أو المعاصرين ، كشرح الإجموعية للشيخ حسن الكفراوى . من أهل القرن الثامن عشر ، وقد طبع بها سنة ١٨٢٦ أو حاشية الطمطاوى ، من أهل القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، على الدر المختار شرح

(٩) جاء اسم الخوي في هذه الطبعة ، كما أوردها عنها فهرست دار الكتب العربية ، معرفاً إلى (الخوي) .

تتوزع الإصدار ، في هذه أبي حنيفة ، وقد طبع سنة ١٨٢٨ ، أو كتابات أبي البقاء ، أيوب بن موسى ، من أهل القرن السابع عشر ، أو شرح الملا علي القاري ، من أهل القرن السادس عشر والسابع عشر ، لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عباس .

على أن نجد ، في عمدة هذا الطابع الغالب على مطبوعات مطبعة بولاق في سنة الأولى ، كتابا ككتاب كلبه ودمية . وقد طبع بها سنة ١٨٢٢ . وكتاب ألف ليلة وليلة ، وقد طبع بها بعد ذلك عامين . وكل تصحيح من كل منهما إلى أحد العلماء المصححين بها ، وهو الشيخ حسن الصفدي .

لم لم يثبت كتب التراث العربي ، في فنونه المختلفة ، أن جعلت تصدر تباعا من مطبعة بولاق هذه والمطابع التي أنشئت إلى جانبها .

وليس من شأننا في هذا الفصل أن نستقصي هذه الكتب أو نعرف بفنونها ، ولكن الأمر الذي يجدر ملاحظته والتنويه به هو أن من بين هذه الكتب مطبوعات تقع في آلاف الصفحات ، ككتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، وضع في أربعة عشر مجلدا . وإرشاد الساري في شرح صحيح البخاري للعسقلاني ، يقع في عشرة مجلدات ، ومفاتيح القلب ، لعمر الدين الرازي ، يقع في ثمانية مجلدات ، وتبيل الأوطار للشوكاني في ثمانية مجلدات أيضا ، والآلات لابن الفرج الإصفهاني في عشرين مجلدا ، ولسان العرب في عشرين مجلدا أيضا ، والمخصص لابن سيده في سبعة عشر مجلدا .

والأمر الثاني هو أن هذه الكتب ، على الرغم من كثرتها وطولها ، لم تبت من العناية بتصحيحها والدقة في مراجعتها ، مما جعلها متالفا صحة النص والإطقان إليه . وربما اكفى في طبع بعضها باختيار ما روي أنه أصح النسخ ، وتقديمه للطبعة ، والمقابلة في التصحيح عليه . وقد كان المصححون ، ونسحو مطبعة بولاق خاصة ، من العلماء المخصص المتمرسين ، وأصحاب الضمير الدقيق والعلم العلي المتبحر ممن كانوا يقصدون بمثل هذا العمل وجه الله وحده . كما سنرى سورة من ذلك فيما بعد . ويمكن أن نخص بالذكر منهم هنا الشيخ « أبو الوفاء نصر الهوري » . وكان من جملة العلماء سعة علم ودقة فهم ، كما يمكن أن يشهد به ما كتبه على القاموس المحيط لفيروز آبادي . وكان قد أتبع له أن يتصل بالحياة الأوروبية ، حين بعث إلى فرنسا أماما لأحدى البعثات العلمية ، لتعلم الفرنسية ، والتصل بالعلماء الفرنسيين ، فلما عاد وكل إليه منصب رئاسة التصحيح بمطبعة بولاق ، فاقبل على عمله بتفافية العالم وخبرة المجرب وضمر الرجل القدير ، وكتب كتابا يتصل بعمله هذا سماه : ( المطالع النصرية في المطابع المصرية ) .

ومن الكتب ما كان يخص بعزلة من العناية ، فبشكل أمر تصحيحه إلى بعض الأعلام المذكورين من رجال العلم . كما كان شأن كتاب المخصص لابن سيده ، إذ أسند تصحيحه إلى

## تحقيق التراث : تاريخها ومنهجها

شيخ علماء اللغة ومرجعهم في عصره : الشيخ محمد محمود ، ابن التلاميذ ، الشنقيطي ، كما يرى ذلك في غير موضع من هوامشه ، وكما يذكره رئيس التصحيح للكتب العربية بدار الطباعة الأميرية ، أي مطبعة بولاق ، في سياق حديثه عن قصة طبعه ، والاسلوب الذي اتبع في تحقيق نصه ، وهو حديث ينبغي أن نقتصر صده ، ونأصل دلالته فيما نحن بصدده .

لنعد أن يذكر أن الذي قام بطبع هذا الكتاب ولعمري نفعه جمعية خيرية من فضاء المصريين وسراهم ، في مقدمتهم ... الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، و ... حسن باشا ناسم رئيس الديوان الخديوي ، و ... عبد الخالق بك تروت أحد أعضاء لجنة المراقبة القضائية بالعقابة ، و ... محمد بك الإسكندرية ، قال :

« وهو ( ١٠ ) - حفظه الله - كان ذا السبق والتميزة الأولى في تحقيق هذا المشروع الجليل ، فإنه بدل عمله في استكتاب هذا الكتاب من نسخة عتيقة مفسرية ، رأيتها بالكتبخانة الخديوية ، وقد ركض فيها الليل ولعب ، وأكل منها الزمان وشرب ، حتى ألى نوبها الغشيب ، وأذوى ففصها الرطب ، ولم يسعد الأيام ثمانية نعرها عند البحث والتنقيب .

وبعد كتابة نسخة منها وكل تصحيحها ومقارنتها على أصلها إلى حضرة الأستاذ العلامة ، مرجع طلاب اللغة والأدب ، الشيخ محمد محمود البركزي الشنقيطي وكان معه في المقابلة صديقنا الفاضل الشيخ عبدالقاسم محمود ، قبل في تصحيحها على الأصل من الاعتناء ما استوجب به دأمر الجراء ومرسيد الشام .

لم قدمت للطبع ، قبلنا في تصحيح المطبوع غاية الجهود ، وقمنا فيه ، والله الحمد ، المقام المحمود ، وكنا نرسل كل ملزمة ، بعد أن نقرغ من تصحيحها ، وقبل طبعها ، إلى حضرة الشيخ المفتي حفظه الله ، فقرأ سن الكتاب عدة ملازم طراءة إيمان وإقبال ، رآه بها الكتاب حسنا وصحة ، ثم استند معظم ملازم الكتاب إلى نظر الأستاذ الشنقيطي ، فحظى الكتاب من نظره بآين بجدتها ، ومجلى حلتها ، وعارج كرتها . فقام الشيخ بما استند إليه مضطجعا ، حتى انتهى الكتاب ، وتم له فيه من أثر يشهد بفضل وروح قدمه ، ومن آثار ما كتبه على حواشي الكتاب من التعليقات بقلمه ، تجاه الكتاب ، بنوفيق الله ، على ما برام لسانه في الصفحة ونهاية في الأحكام . »

ومن هنا نستطيع أن نتأمل مبلغ ما كان يتخذ لإخراج كتاب مثل المخصص من احتفال به وأعداد له ، منذ تألفت له جمعية من العلماء والسراة ، إلى الحرص البالغ على أن يتناح له من أسباب التحقيق أقصى ما يمكن ، فقد كان من أول ما أوجه القوم إليه وحرصوا عليه ،

(١٠) أي معهد البخاري ، أحد التفسيرات التي تولى ما هو جديرة به من الدرس ، وصاحب قاموس البخاري توسع المجاهد الفرنسية العربية واشتغلها ، نولى سنة ١٩١٤ .

وجدوا في البحث عنه ، الحصول على نسخة أخرى تكون إلى جانب النسخة الوحيدة التي أثبتت منه ، وإن لم يظفروا بذلك ، لم وكل أمر تصحيح النسخة التي استخدمها محمد البخاري ومقابلتها على الأصل إلى الشيخ اللطيف في عصره محمد محمود الشقيطي ، واحد شيوخ الأزهر الأعلام ، الشيخ عبد الغني محمود ، فإذا مضى الكتاب بعد ذلك إلى المطبعة وإلى مصححيها من العلماء المتفرسين ، فقد جعل إذن الطبع إلى الأستاذ الإمام ، يوقع به بعد قراءة التجارب قراءة أمان وانتقل ، ثم إلى الأستاذ الشقيطي الذي سحب الكتاب في أولى خطوات إصداره . وفي الحواشي المثبوتة في صفحاته ما يدل على ما كان يشم به من جد ، وما يشهد بيقظته ودقة نظره وسعة معرفته وحفظه .

ومبدأ استقصاء نسخ الكتاب موضع التحقيق والتحري مصادره ، تراء قبل كتاب المخصص فيما اتخذ لتحقيق لسان العرب ، وذلك فيما حكاه ( خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الزاوية الزاهرة ، ببولاق مصر القاهرة ، الفقيه إلى الله تعالى محمد الحسني ) في الفصل الذي كتبه عنه وذيله به ، وقص فيه ما كان من شأن ناظر هذه المطبعة ، المرحوم حسين باشا حسني ، إزاءه ، وما اتخذ له من أسباب التحقيق ، قبل الشروع في طبعه وإثباته ، إذ يقول :

« ... وجمع لنا ، في تصحيح هذا الكتاب ، الأصول المهمة التي رجع مؤلفه رحمه الله نظره إليها ، وعول في تأليفه عليها ، وهي : الحكم لأبي الحسن علي بن سيده الأندلسي ، والتهذيب لأبي منصور محمد بن أحمد طلمجة الأزهرى اللقى ، والصحاح للإمام أبي عمر اسماعيل بن حماد الجوهري ، ونسابة العرب في الحديث للإمام اللقى المحدث أبي السعادات مبارك بن أبي بكر محمد ، المعروف بابن الأثير الجزري ، وغيرها . كنتكة الصحاح للإمام الحسن بن الحسن الصفاني ، التي غير ذلك مما وصلت بيدنا إليه ، وأخرجنا في التصحيح عليه . »

وأحضر لنا أيضا من نسخ الكتاب النسخة الجارية في وقف السلطان الأشرف برساي شعبان ، التي قال السيد مرتضى شارح القاموس أنها نسخة المؤلف ، وعول عليها في شرحه للقاموس ، مستمدا منها ، وكتب على كل جزء منها بخطه ما معناه : قد طالعه محمد مرتضى مستمدا منه في شرح القاموس . وكذلك أيضا ذكر صاحب كتلف الفنون ما يفيد أنها نسخة المؤلف . لكنها قد عبت بها أيدي الزمان ، فأضاعت ومزقت منها بعض الجملان . وقد شغلنا عناية الحضرة الفخيمة الخديوية التوفيقية ، أدام الله أياها ، ورفع على هام الكرام أعلامها ، فأحضرت لنا من الاستانة العلية نسخة الوزير الخطير ، والصدر الأعظم الشهير ، والعالم العلامة التحرير ، راجب باشا صاحب السبينة ( ١١ ) عليه سحاب الرحمة ، فاستعنا

( ١١ ) هو محمد راجب باشا ، أحد ولاة الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ، في مصر والنام ، وصاحب الكتبة المعروفة باسمه في استنبول ، ومؤلف كتاب ( سبينة الراجب ودفينة الطالب ) نشر إليه ، نولي سنة ١٧٦٢ .

بها ونسخ أخرى غيرها ، وبأصول الكتاب أيضا ، على ما فقد من نسخة الاشراف التي عليها العنيد  
بيدنا . وقد تولي تصحيحه بحول الله وقوته جماعة جهيدة وسادة العبارة ... الخ .

**فها نحن اولاء نرى هنا منهجا علميا دقيقا ، شديد الحرص على توفير الادوات التي**  
تمكن القارئ ان يكون صورة دقيقة له ، كما اذا صاحبه ، من المسمى النسخ المخطوطة ،  
وتعجب ما يظن انه النسخة الأم ، ومصادر الكتاب التي ينسج مؤلفه انه صدر عنها ، او  
جانب العناية البالغة بالمقابلة والمقارنة والمراجعة والتصحیح ، على النحو الذي يؤدي اليها  
صورة منه هوامش الكتاب ، وما نلني عليه من دقة وبقعة ، ومن ادب علمي ومنهجية في التعليق  
تثير الإعجاب ، مع اتيار الذات بعثت على الدهشة ، فليس فيها مع ما تتضمنه من ذلك  
ما يشير الى اسم صاحبها ، وانما ينتهي كل تعليق منها بهذه العبارة : « ا هـ . كسبه  
مصححة » .

ولا نقف هذه التعليقات عند مقابلة النسخ ، او ايراد ما جاء في اصول اللسان ،  
ولتحريز النص بها ، وقد يكون ميتورا فيسكتكمل ، او محرفا ليصحح ، مع مراجعة المخطوط على  
ما طبع ، بل تغطي بعد ذلك في مراجعة ما ينطبق التحقيق من كتب الادب والتاريخ واللغة والتفسير  
والبلدان والعروض ، ما دعت الحاجة اليه مراجعتها ، كالاساس البلاغية للرمضاني ،  
والعاموس للفيروزباني ، وتشرح له المراسي الزبيدي ، وكتاب سبويه ، ومعجم البلدان لياقوت  
الى غير ذلك .

بل ربما جاء النص في غير موضع من الكتاب ، فلا يغفل المصحح عن ذلك ولا يغفوه التنبيه اليه ،  
وقد يحرم مختلفا ، فلا يغفوه التنبيه على ما يرى انه الصحيح ، كما نرى ذلك في غير موضع ،  
( من ذلك ما جاء في حواشي الجزء التاسع ، في مادة ا ر ط ) ، ومادة ا وس ط ) ، ومادة  
( ا غ ط ) ، في الصفحات ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ .

وقد يشوق المصحح احيانا عند نص لا يتضح له وجهه ، ولم يتج له ما يوجه به ، او مصححه  
عليه ، فيضع في الهامش يازأله هذه العبارة : « كذا بالاصل ، وحرره » .

كما يقترح احيانا تصحيح النص على القارئ من وجه ، ( كما نرى ذلك في مادة ا ر ط ) ، ومن  
صورة الدقة التي اسم بها عمل المصحح في هذا الكتاب ان يورد صاحبه حديثا ، فيظن انه  
صدر به عن النهاية في قريب الحديث لابن الاثير ، اذ كان من مصادره التي نص هو عليها ، فلا يلوذ  
المصحح ان ينسبه فيه ، فاذا لم يجد نص على ذلك ، ( كما نرى ذلك ) مثلا في مادة ا ر ط ، ( ج ز ) ،

واذا كانت اوضاع هذه التعليقات او الحواشي تختلف في صورتها عن المؤلف المتعارف عليه ، اذ  
جاءت في الهامش الجانبي ، ويدون ارقام في الاعم الاغلب ، على ما كان متعارفا عليه في كتب الحواشي  
والتقارير ، فان ذلك لا يغير من منهجيتها ، وثبت الذين اعدوا طبع اللسان جعلوها بحيث تتفق مع  
ما نواضعنا عليه ، وثبتهم اضافوا اليها التصحيحات التي دونها احمد ليعمر واخرجها في كتاب ،



والتصحیحات التي نشرها عبد السلام هارون ، ثم قدموا له بما يدل على الجهود المختلفة التي بذلت في إخراجة وتحقيق نصه .

ومهما يكن من أمر فإن هذين الكتابين : لسان العرب والمخصص ، اللذين خلقا وطبعا فيما بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٠٤ يمثلان مرحلة جديدة في تحقيق التراث في مصر ، في العصر الحديث ، أخلت بشروط التحقيق العلمي ومبادئه ، ويشتمل ذلك مبلغا جديرا بالتبوية ، وإن أخلت ببعض الأوضاع الشكلية في النشر العلمي .

وفي سياق هذا الحديث الذي نود أن نؤرخه لتحقيق التراث وما هو مسبقه في مصر ، ونرجو أن نتيج به شيئا من مراحله ووجوهه ، ينبغي الانتقل الإشارة إلى حدث من الأحداث صدر من ذلك الاتجاه ، وهو تكوين ( جمعية المعارف ) التي أسسها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، وضعت فعلا غير قليل من علماء مصر وسرائها ، وكان من أهدافها المشاركة في إحياء التراث العربي ، فتولت طبع طائفة من أسماء الكتب في التاريخ والمقدمات الأدب ، كما يقول عبد الرحمن الرافعي في الفصل الذي كتبه عنها ، وأورد فيه أسماء بعض هؤلاء الكتب كما ذكر فيما نحدث به عنها أنه كان لها مطبعتها الخاصة بها ، إلى جانب استخدام مطبعة بولاق وبعض المطابع الأهلية ، بالمطبعة الوعية . ( ١٢ )

ولا نحسب أن ما طبعته هذه الجمعية كان يعنى بأكثر من تحرى صحة العبارة وتقويم النص ، فلم يكن المنهج العلمي الحديث في التحقيق قد فرض نفسه بعد ، على الصورة التي رأيناها في نشر لسان العرب والمخصص ، بعد أن حلت هذه الجمعية بطبعة عشر عاما .



وفي الوقت الذي كانت أجزاء لسان العرب تظهر فيه ، وتتلها القراء ، كانت هناك نقشة من الشبان ، اتصلوا بالثقافة الأوروبية وأعجبوا بها ، بقدر حرصهم على شخصيتهم العربية بجميع عناصرها ومقوماتها . وكان من هؤلاء الشباب ( أحمد زكي ) ، الذي عرف فيما بعد بلقب شيخ الروبة . وكان منذ نشأته الأولى مشغوقا بالادب العربي والفرنسي ، مراوحا نشاطه بينهما ، مما رشح له ليكون عضوا الوفد المصري في مؤتمر المشرقين الذي انعقد في لندن سنة ١٨٩٢ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، ثم ما بعد ذلك من مؤتمرات ، مما وثق صلته بالأمم المشرقية ، ودفعه على منهمجهم في تحقيق التراث العربي ونشره ، كما أناحت له مثل ذلك عضويته للمجمع العلمي المصري .

وكان أمر ذلك التراث والتفكير في وسائل إحيائه ، وفي مظهر ذلك الإحياء ، مما سيطر عليه ، وجعل يشغب أحلامه ويغمر أحاديثه ، كما نرى ذلك فيما قاله في التصدير الذي قدم به كتاب

### تحقيق التراث : تاريخا ومنهجيا

الادب الكبير لابن المقفع . وكان - بعد كتاب تكتالهميان في تكتالهميان - من بواكير عطية في تحقيق التراث . وقد طبع بالاستشرية سنة ١٩١٢ . وذلك اذ يقول في سياق هذا التصدير :

« ما زلت منذ نصف وعشرين عاما وأنا اناذي ذوى الفضل في بلادى ليتعاونوا على احياء الآداب العربية ، حتى آذن الله بنجاح المسمى وتحقيق المسمى ، وفي هذه الأيام العباسية السعيدة » .

واذن فقد بدأ احمد زكى باشا الدعوة الى احياء الآداب العربية ( قبل سنة ١٨٩٠ ) في سطر حياته ، وفي ايام صدور لسان العرب ، وقبل بدء صدور المخصص . وهو يعنى « في هذه الفقرة » بنجاح المسمى موافقة مجلس النظار على مشروعه الذى تقدم به . وقد سرح بهذا في التعميد الذى كتبه لكتابه من الترقيم ، سنة ١٩١٢ ، اذ يقول :

« . . . حتى اذا اشرفت علينا انوار هذا العصر العباسى الجديد ، اخلت في الانتعاش ، خصوصا عندما اقرت الحكومة الخديوية المصرية احياء الآداب العربية . وكان من كمال التوفيق ان اتاح الله للهيئة على طائفة المعارف العمومية ، والاشراف على احياء الآداب العربية ، سعادة الناعة الفضال احمد حشمت باشا » .

ومنذ جعلت فكرة هذا المشروع نداهب خيالها وترأود أحلامه ، وهو دائم التفكير فيه والدعوة اليه والاعداد له ، فيما يكتب من ابحاث وما يلقي من احاديث وما يشهد من مجالس ، وفيما يقوم به من رحلات كان يحرص اشد الحرص فيها على تحقيق ما كان همه الاول منها ، وهو ان يزور خزان الكتب التى تحتفظ بالتراث العربى ، ككتبة الاسكوريال في اسبانيا ، ومكتبات الاستانة ، تراجع فيارسها ، وينقب في ذخائر مخطوطاتها ، ويعكف عليها قارئا ومصورا ما يروقه منها .

وقد نوه ببعض ذلك في حاشية التصدير الذى كتبه لكتاب التاج المنسوب للجاحظ ، اذ يقول :

« لرى من واجبى ان اذكر بالشكر المعازنة الثمينة التى بذلها لى سديقى الفضال ، نعمة الله الهندي البغدادي ، المشغل بالمحاسبة في القسطنطينية ، فقد جعل نفسه ولغا على خدمتى ومساعدتى أثناء اشتغالى في عاصمة الخلافة الاسلامية بجمع المواد التى كانت اساسا لمشروع احياء الآداب العربية » .

حتى اذا وافقت الحكومة على هذا المشروع ، ورصدت له بعض ما يحتاجه من مال ، فقد تقدم بكتاب التاج هذا يستعمل به صله فيه ، وقدم له مقدمة طويلة مفصلة يفتح فيها لما صبح عنده انه للجاحظ ، كما ذيله بطائفة من الفهارس ، واصطنع في تحقيقه والتعليق عليه المنهج العلمى الحديث الذى يصطنعه علماء المستشرقين ، في دققوا احكام واحاطة .

واخذ هذا المشروع من دار الكتب المصرية مركزا له ، اطلق عليه اسم ( القسم الادبى ) ، وتضمن طائفة من الكتب ، منها ما عني زكى باشا بتحقيقه بنفسه ، ككتاب الاصنام لابن الكلبي ، وتاريخ المقدمة التى كتبها للطبعة الاولى ٢٠ يناير سنة ١٩١٤ ، وكتاب اسباب الخيل له ايضا . وهو - وان لم يصدر من دار الكتب الا في سنة ١٩٤٦ ، الا انه كان قد طبع قبل اكثر من ثلاثين عاما

من هذا التاريخ، وأرجى إصداره حتى يتم أعداد ما كان زكي باشا قد أخذ به نفسه، لجعله ملحقاً له، وهو معجم بأسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. ولكن بعض العوائق حالت دون ذلك، وتوفي زكي باشا سنة ١٩٣٤، وكالجزء الأول من كتاب «مسالك الأبصار في معالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، وقد طبع سنة ١٩٢٤، وتوفي سائرته لم ينشر شيء منه - فيما عرف - حتى الآن.

وبالثناء (القسم الأدنى) في دار الكتب المصرية، أو بالتفاته إليها من مطبعة بولاق، وهذه البدايات المشرقة، تطلع الناس إلى عهد جديد في تحقيق التراث ونشره، شكلاً وموضوعاً، ومن ذلك - فيما تقدر - كان اتجاه السيد علي راتب، أحد مرآة القاهرة ووجهها، إلى دار الكتب المصرية، سنة ١٩٢٥، مقترحاً عليها إعادة طبع كتاب الأغاني لأبي العرج، بعد مراجعته وتصحيحه وضبطه ونفسه مغلفه، كائناً كما وصفه مصطفى من غير حذف ولا إبدال كما هو نص ما جاء في كتابه إلى مدير الدار، متذكلاً بتفقه الطبع.

وكان لتلك الأربعة أثرها في مبادرة القسم الأدنى بدار الكتب إلى الاستجابة لذلك الاقتراح وأعداد العدة لتحقيقه، بالتفاد الأسباب المختلفة، كما كان يراها، لكن يظهر كتاب الأغاني بالصورة الجدير بها، برشا من عيوب طبعته السابقين.

وقد تضمن التصدير الذي كتبته وليس رسم التصحيح بدار الكتب للجزء الأول منه بياناً بما أصدرته الدار من أدوات التحقيق، وبما أخذته في المقابلة والتصحيح والمراجعة في هذا الجزء. فذكر نسخ الأغاني الموجودة في الدار، مطبوعة ومخطوطة، معرقاً بكل منها، معينا الرمز الذي أخذ لها. وجعلتها ثمانى نسخ، ثلاث منها مطبوعة، وأولها الطبعة الأوروبية التي طبعت سنة ١٨٤٠ في جريبزفولد، ثم طبعة ولاق سنة ١٢٨٥ هـ، ثم طبعة الساسي، كما عقب على ذلك بيان الكتب التي أصدرت ليستعان بها في التصحيح، وقد وكل أمره إلى لجنة مؤلفة منه ومن الشيخ محمد الخطر حسين، والشيخ أحمد عبد الرحيم، إليها لجنتان للمراجعة: الأولى مؤلفة من السيد محمد البيلادي، وقد وصف في هذا التصدير بأنه مراقب أحياء الآداب العربية بالدار، وحافظ إبراهيم وأحمد نسيم، والآخرى للمراجعة الأخيرة مؤلفة من أحمد لبحور باشا، وجعفر والي باشا، والشيخ محمد الخطري، والشيخ أحمد أمين. وقد صدر هذا الجزء سنة ١٩٢٧.

ومع هذا الحرس على أن تذكر طبعة الساسي، وهي ليست غير طبعة تجارية، بين مراجع التصحيح، لم تمن الدار ولا القائمون على التصحيح فيها باستنفاذ نسخ الأغاني الموجودة في المكتبات الأخرى، أو على الأقل ما هو مدون في فهرسها، واستنساخها وضمتها إلى النسخ المذكورة في ذلك التصدير، وكان ذلك من أول ما يجب الاتجاه إليه. وقد وعد مدير الدار في كلمته التي صدر بها الجزء الثاني ببدء «الجهود في استحضار نسخ ما قد يوجد من

## تحقيق التراث : تاريخا ومنهجيا

هذا الكتاب في المكتبات الأخرى » . وهي عبارة تدل على أن الدار لم تكن حتى ذلك الوقت معروفة ما هو موجود من نسخ الكتاب في المكتبات الأخرى ، فهو لا يزال عندها أمرا محتملا .

وع هذا فقد ظل الاعتماد في تحقيق الأغاني على نسخ الدار وحدها ، حتى الجزء الثالث عشر ، الذي صدر سنة ١٩٥٠ . وبعد ثماني سنوات صدر الجزء الرابع عشر ، بتصدره بيان من الدار يقول أنها حصلت أخيرا على أجزاء متفرقة من هذا الكتاب في مكتبتى ميونخ ولوبيخ . كما أخذت الدار منذ ذلك الجزء بنظام جديد في التحقيق ، فقد أعتت نفسها منه ، ورات - كما هو تصي بيانها - « أن لنسعين بنخب من جهابذة العلماء المتضلعين في فنون العربية وآدابها وتاريخها » لتجار الكتب التي تقوم بتحقيقها وإخراجها » . وبذلك وكلت تحقيق كل جزء من أجزاء الأغاني إلى أحد الأساندة ، يستقل به ويحمل تبعته . وبذلك أيضا اختفى اسم ( القسم الأدبي ) من صدر الكتاب ، كان لم يعد له وجود بعد في الدار .

ومند الجزء السابع عشر الذي صدر سنة ١٩٧٠ انتقلت الولاية على تحقيق الأغاني وإخراجه إلى الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .



وبعد أن أخلى ( القسم الأدبي ) مكانه في دار الكتب ، بعد أن أبلى بلاء مذكورا ، على الرغم من وجوه التقصير والمآخذ التي أخذت عليه ، فيما تولاها من تحقيق طائفة غير قليلة من كتب التراث ، وما شارك به في مثل الكتب التي حققها الأستاذ عبد العزيز اليمنى ، فإن هذا المكان لم يلبث أن شغله إمرؤز تحقيق التراث الذي أنشئ بالدار ، ليؤدى ما كان يؤديه القسم الأدبي ، بصورة أفضل ، وأسلوب علمي أدق ، ومنهج واضح مطرد .

وكان من أول ما أخطه أن يكون - إلى جانب مضميه في الطريق الذي شقه القسم الأدبي - مركزا للتحقيق عامة ، يمكن أن يلجأ إليه المحققون ، أفرادا وجماعات ، فيما هم بسيله ، لفسد خطاهم ، ويقدم إليهم كلما يعينهم على بلوغ الغاية فيما يحققون .

كما كان من أول ما حرص هذا المركز عليه ألا يقف نشاطه عند حدود الآثار الأدبية وحدها ، كما كان شأن القسم الأدبي ، بل يجعل هذا النشاط ممثلا لصور التراث العربي المختلفة ، أدبية وعلمية ، وكأننا لاحظ أن نراثنا العلمي لم يفتقر من التحقيق بما هو جدير به ، وبما يمكن أن يجعل صورة الفكر العربي جللاء كالميا ، فكان عليه أن يتلافى هذا التقصير . وإلى جانب ذلك كان يقدر أنه بما يمكن أن يتاح له منه يستطيع أن يقدم الجهود المبذولة لتعريب لغة العلم ، ويؤازر مجمع اللغة العربية وغيره من المجامع والهيئات الأخرى فيما يحاوله من وضع مصطلحات تعريبية بآراء المصطلحات الأوروبية السائدة ، ويصل بذلك ما بين قديم التعبير العلمي وحديثه .

وبذلك أخذ نشاط هذا المركز ، كما خططه وأخذ في تطبيقه ، يتمثل في مجموعة من الوحدات تغطي كل وحدة منها بجانب من جوانب التراث العربي ، إسلامي ولغوي وأدبي وتاريخي وفلكي وموسيقى وجيولوجي ، إلى غير ذلك كعلوم الأوائل المنقولة إلى اللغة العربية . ولكل وحدة من هذه الوحدات استلهاها المتخصص في موضوعها ، التفرس بلقنها واسلوبها ، ومعه معاونوه من الشبان الذين تخصصوا في هذه الموضوعات في دراستهم الجامعية ، يعيشونه ويتدربون بالعمل معه في تحقيق ما أخذ في تحقيقه .

**ومن أجل توفير أدوات التحقيق وتيسر استخدامها ، عني المركز من أول يوم بتكوين مكتبتين خاصتين به ، أحدهما للفهارس والأخرى المراجع .**

أما المكتبة الأولى فقد أراد أن تضم جميع فهارس الكتب العربية في مكتبات العالم المختلفة ، عربية وأجنبية ، شرقية وغربية ، عربية منسقة . وقد جمع فيها كل ما أتيح له منها ، وأحسب أنه في سبيل استكماله . وأنه مازال ماضيا فيما يلهو من استخراج الفهارس التي نشرت في بعض الدوريات العلمية ، كمجلة معهد الخطوط العربية ، ومجلة المجمع العلمي العراقي ، ليضمها إليها ، إلى جانب ما شرع فيه أيضا ، وأرجو أن يكون ماضيا في أدائه ، من تفسير هذه الفهارس في بطاقات ، وترتيبها من بعد وتصنيفها ، بحيث يستطيع المحقق ، سواء كان من محققى المركز أم من غيرهم ، أن يعيط علما بجميع نسخ الكتاب الذى يحققه ، حين يراجع هذه البطاقات .

وأما المكتبة الأخرى فقد أراد بها أن تضم جميع المراجع العامة والكتب الأصول التي يحتاج إليها في التحقيق . وقد أصدرت أعدادا يتفق مع وجود نشاط المركز ، في وحداته المختلفة ، ودرجت ترتيبا يتيح للباحث أو المحقق أن يرجع إليها ، ويظهر بقيته منها ، في أقرب وقت وبأيسر جهد .

ولعل ذلك - إلى جانب كفاية الأسانيد للمحققين وإيمانهم بعملهم وإقبالهم عليه ، وإخلاص معاونيهم ولقائهم - كان مما أتاح لهذا المركز أن يصدر في هذه الفترة القصيرة من حياته ، منذ بدأ العمل فيه سنة ١٩٦٩ ، مجموعة لا بأس بها من كتب التراث نعل وحداده المختلفة ، كما نعل ، في جعلتها ، مبادئ التحقيق العلمى وأمثل صورته .



وبعد ، فليس بنا في هذا الفصل أن نشيع تاريخ حركة تحقيق التراث ، تلقصاها ونمضي وراءها في شتى مواطنها ، وإنما لتناول من ذلكما يتصل بمنهج التحقيق ووجوهه المختلفة ، ولعل فيما قلنا من ذلك ما فيه بلاغ .